المحور الثاني : المَأْسَسَة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية في علم الاجتماع

أولا: مقاربة علم الاجتماع العام

المحاضرة الثانية: أبرز ملامح المَأْسَسَة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية لدى كل من ماكس فيبر وجورج زيمل

ماكس فيبر: عالم اجتماع وسياسة واقتصاد وتاريخ ألماني، عاش بين (1864م- 1920م) اشتهر بطرحة المنهجي المتميز عن طرح دوركايم والوضعية؛ من خلال دعوته إلى تميز منهج العلوم الاجتماعية المعتمد على الفهم، وأيضا من خلال الأنماط المثالية وخاصة النمط المثالي للبيروقراطية

جورج زيمل: عالم اجتماع ألماني؛ عاش بين (1858م- 1918)، عمل أستاذا للفلسفة، كما ارتبط اسمه بعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ، وعلم الجمال والمعرفة، ويعتبر مع ماكس فيبر من اشهر علماء الاجتماع الالمان الكلاسيكيين، حيث كان من المساهمين معه في إنشاء الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع

01 * موقع المؤسسة الاجتماعية في علم اجتماع ماكس فيبر وجورج زيمل: مبدئيا **لم تكن المؤسسات الاجتماعية بما هي أبنية قائمة ومحددة لضبط الأطر السلوكية والفكرية وتحديدها** هي ما اهتم به ماكس فيبر وجورج زيمل؛ حيث انهما -وعلى عكس دوركايم وماوس-اهتما **بالفرد كوحدة للتحليل العام** لفهم الخبرات والأحداث الفردية[2]، وقد كان موضوع علم الاجتماع الرئيسي لدى فيبر هو **الفعل الاجتماعي والمعاني التي يستند إليها** ويحدد بناء عليها توجهاته. وباعتبار أن ذلك الفعل هو الأساس الذي تبنى عليه النظم والمؤسسات الاجتماعية. لأن **المؤسسات الاجتماعية تمثل الإطار الذي تنتظم فيه الأفعال والعلاقات الاجتماعية وتُفْهَم دلالاتها**؛ وليست هي من يتحكم في تشكيل وضبط نموذج الأفعال بشكل مسبق، والمجتمع ليس نظاما أخلاقيا يتأسس مرة واحدة وإلى الأبد مثلما فهمه دوركايم، ولا هو نتيجة حتميات لا يستوعبها الفرد كما فهمه ماركس، بل هو **نظام ظرفي ينشأ ثم يتأسس عندما يتقابل افراد مختلفون لهم مصالح مختلفة؛ ويحاولون إقناع بعضهم البعض والاتفاق معا**[3].

في حين اهتم زيمل **بالتفاعل الاجتماعي، مركزا على دراسة أشكاله (الصراع والتنافس ...)** ودوافعه(السيطرة والخضوع)، باعتبار أن تلك الأشكال والدوافع هي التي تؤدي في النهاية إلى التأثير على الوجود الاجتماعي؛ وتعمل بذلك على تبلور البناءات والمؤسسات الاجتماعية، وما يدور داخلها من مظاهر للفعل وأشكال للتفاعل، **حيث تعتبر المؤسسة الاجتماعية _من هذا المنظور _ عضوا يستمد معناه من التفاعلات بين الأفراد**[4]، ومن وعيهم وتصورهم لها، وليس من وجود سابق لها يتحكم في الأطر والقواعد السلوكية للأفراد؛ مثلما رأى دوركايم وموس؛ غير أن رفض زيمل لنظرة دوركايم حول الوجود الواقعي للمجتمع، **لا**

---

[1] – للمزيد حول حياة فيبر وفكره أنظر مثلا: ريتزر. مرجع سابق.، دورتيه. مرجع سابق.،

[2] – أنظر: تشيرتون، ميل وآن براون. علم الاجتماع النظرية والمنهج، ترجمة: هناء الجوهري، المشروع القومي للترجمة 2075، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط01، 2012. ص.95، وأيضا: ريتزر. مرجع سابق، ص-ص. 245-246.

[3] – اركسن ونلسن، مرجع سابق، ص.68.

[4] – أنظر: Marie-Carmen Garcia، مرجع سابق.

تعني أن **المجتمع عنده مجرد مجموعة من الأفراد المنعزلين، بل هو يعتبره مؤسسا على مجموعة من التفاعلات التي تربط بين مجموعة من الأفراد**[1].

02 * **الفعل الاجتماعي والمأْسَسَة الاجتماعية للسلطة ومصادر الشرعية لدى فيبر**: الفعل الاجتماعي عند فيبر يرتبط **بوجود وعي ذاتي؛ بمعنى أنه الفعل؛ أو التصرف الصادر عن الفرد بوعي**[2]، ويمكن البحث في **مختلف التضمينات التي يُضَمنها الفاعلون أفعالهم** (المحتوى الذي يريد الأفراد لأفعالهم أن تحتويه)، **ونتائج تلك الأفعال والتضمينات هي التي تنشأ عنها البنيات التنظيمية** (المؤسسية)؛ التي تستوعب الإطار الجماعي للفعل، وتنظمه، وتتيح بذلك أيضا (للباحث) قابلية فهم هذا الفعل وتحديد دلالاته. وربما أهدافه وشرعيته من وجهة نظر جماعية.

والفعل الاجتماعي عند فيبر يمكن أن يكون، رشيدا يتحدد بحسابات الوسائل والغايات(تتضمن الأهداف والمقاصد)، وقد تتحدد الغايات بنسق قيمي أوسع(أخلاقي- ديني- اجتماعي)؛ وليس بحسابات فردية محضة للفاعل، أو عاطفيا بحسب الحالة العاطفية للفاعل، أو تقليديا حسب الطرق التي اعتاد الفاعل أن يتصرف في إطارها[3].

ومن جانب آخر لاحظ فيبر أن **جميع المؤسسات الاجتماعية تتضمن أبنية للسلطة**، واهتم بتحليل تلك الأبنية بما يتفق مع افتراضاته حول طبيعة الفعل، حيث أن السلطة تتضمن: احتمال أن تطيع جماعة من الناس أمرا ما؛ أو مجموعة من الأوامر، باعتبار أن لذلك الأمر أو تلك الأوامر شرعية ما تضمن لها القَبُول والطاعة لدى من ينفذونها.

وقد حدد فيبر **ثلاثة أنواع من الشرعية التي تستند إليها السلطة في المجتمع**؛ الشرعية العقلانية (القانونية) وتتأسس على الإيمان بشرعية القواعد الرشيدة التي على أساسها اكتسب صاحب السلطة حق إصدار الأوامر، والشكل الذي ركز فيبر على تحليله من هذا النمط هو السلطة البيروقراطية؛ الشرعية التقليدية: وتتأسس على اعتقاد راسخ بشرعية التقاليد التي منحت لأصحاب السلطة هذا الحق الذي يمارسونه في إطارها؛ والشرعية الكاريزمية التي تتأسس على السمات الخارقة التي يتمتع بها صاحب السلطة، والإيمان بخصوصية تلك السمات وأهمية الولاء لمن يتسم بها؛ وللنظام المعياري الذي يمثله[4].

03 * **البناء الاجتماعي باعتباره مؤسسا على الثقافة الموضوعية حسب زيمل**: حيث أن الناس **خلال تفاعلهم لتحقيق أهدافهم** ضمن الحياة الاجتماعية مع الآخرين ، **ينتجون الحياة الاجتماعية ويعيدون انتاج أنفسهم من خلالها** (يجعلونها تحمل أفكارهم وتصوراتهم وحاجاتهم ...)، وهم خلال ذلك أيضا **ينتجون الثقافة** (أي المنتجات الفكرية والمادية التي ينتجها الأفراد "أدوات مادية : آلات ووسائل الإنتاج والنقل ...— أفكار ونظريات ومعارف في الفلسفة والفن والعلم والقانون والدين والمثل العليا ...") التي **تكون ذاتية** (ذات منشأ وخصائص وتصور يعبر عن حاجة ذاتية للفرد الذي أنتجها)؛ لكنها **فيما بعد**؛ حين تترسخ **في الاستعمال اليومي ضمن الحياة الاجتماعية، تصبح ذات وجود مستقل**(عن شخصيات الأفراد الذين أنتجوها)؛ وتؤسس **لنوع من السيطرة باضطراد على الفاعلين الأفراد الذين أنتجوها**[5]، وهذا التصور عند زيمل لا يخلو من تناقض يظهر في هذه

---

[1] – ريتزر، مرجع سابق، ص.331.

[2] – المرجع نفسه، ص. 248

[3] – المرجع نفسه، ص.250.

[4] – أنظر: المرجع السابق، ص-ص. 252-253

[5] – أنظر: المرجع نفسه، ص. 332- 333

المعالجة للفرد المسْتَلَبْ أمام ما يسميه الثقافة الموضوعية، والبناء الاجتماعي الذي تجسده والذي هو جزء منها، وتجعل الفرد في موقع تبعية لتلك الثقافة وذلك البناء. بما يجعل زيمل يجسد في تحليلاته هذه فكرة وجود البناء الاجتماعي بكيانه المؤسساتي الذي يتحكم في الأفراد ويوجه خياراتهم، ويسلبهم المبادرة[1]. **أي بما يناقض منطلقاته التي تقول أن المجتمع يستمد معناه؛ ووجوده؛ ليس باعتباره وجودا مُؤَسسيا سابق لوجود أفراده**؛ بل باعتباره يتكون من شبكة التفاعلات التي ينسجها أولئك الأفراد خلال تفاعلهم فيما بينهم؟!.

04 * **البناء المؤسسي البيروقراطي ومصادر شرعيته لدى ماكس فيبر**: يرى ماكس فيبر أن البناء المؤسسي البيروقراطي الحديث يستند إلى الشرعية القانونية، بل هو " أنقى نمط لممارسة السلطة القانونية "[2]، وهو أفضل بناء مؤسسي عرفته البشرية قادر على تحقيق الكفاءة الإنتاجية في حدودها القصوى، وليس هناك آلية أو طريقة أخرى يمكنها العمل بنفس دقة وفعالية البيروقراطية العقلانية[3]. وذلك باعتباره بناء أو تشييد عقلي يتشكل وفق مجموعة من السمات أو أكثر يمكن ملاحظتها في الواقع. وقد اعتبر فيبر أن المؤسسة البيروقراطية إلى جانب الرأسمالية هما العَامِلَيْن المهمين لعملية الترشيد (العَقْلَنَة)، لأن كل منهما تتضمن الفعل العقلاني والوسيلي، وقد كانتا داعمتين لبعضهما في نمو الترشيد في المجتمعات الغربية[4].

05 * **خصائص البناء المؤسسي البيروقراطي المستند إلى العقلانية**؛ وفق النموذج الذي حدده فيبر تتميز المؤسسة البيروقراطية الحديثة بـ[5]: * تقسيم عمل واضح ومحدد مبني على التخصص المحدد بدقة وعلى أسس ثابتة.

* تتدرج الوظائف في شكل هرمي بحيث يخضع الأدنى لسلطة الأعلى بطريقة محددة وواضحة، تحدد نطاق الإشراف والسلطة.

* تنتظم المهام والعلاقات داخل المؤسسة، وتتحدد بقواعد ولوائح قانونية عامة مكتوبة ومحددة، بحيث لا مجال للعفوية والاجتهاد الشخصي.

* انضمام الأفراد إلى المؤسسة يعتمد على معايير موضوعية كالشهادات والاختبارات. تحدد من هو مؤهل لذلك وبأي طريقة سيتم اختياره(اختبار أو تعيين).

* يستحق العامل بالمؤسسة البيروقراطية أجر منتظم ومستمر يتحدد حسب وظيفته، يتحول بعد التقاعد إلى راتب تقاعد.

* ولاء الموظف للوظيفة، والأدوات والأموال التي يستخدمها الموظف لأداء وظيفته ليست ملكه.

* العلاقات البيروقراطية هي علاقات وظيفية ثابتة محددة باللوائح وليست شخصية.

* للموظف في المؤسسة البيروقراطية الحق في الترقية إلى المناصب الأعلى يتحدد حسب الأقدمية أو الإنجاز أو معا.

---

[1] – المرجع نفسه، ص–ص. 331–332.

[2] – ريتزر، المرجع السابق، ص.253.

[3] – انظر: المرجع نفسه، ص.253–254

[4] – ريتزر. مرجع سابق، ص. 269

[5] – تتناول الكثير من المراجع في التنظيم والإدارة وعلم اجتماع التنظيم ... النموذج البيروقراطي وسماته عند فيبر؛ يمكن مثلا الرجوع إلى: عاشور، احمد صقر. الإدارة العامة: مدخل بيئي مقارن، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، ط01، 1979، وايضا: بوحوش، عمار، الاتجاهات الحديثة في علم الادارة، دار البصائر، الجزائر، ط02، 2008، وأيضا : القريوتي، محمد قاسم، مبادئ الادارة: النظريات والعمليات والوظائف، دار وائل للنشر، عمان – الاردن، ط04، 2009.

* الموظف محمي من التعسف والظلم وله الحق في التظلم والشكوى.

* الاعتماد على اللوائح والقوانين المنظمة للعمل، وكذلك تدوين الأعمال التي يتم القيام بها خلال أداء المهام الوظيفية وتدوين المعلومات المتداولة.

لكن فيبر؛ وفي إطار معالجته لمسألة **اتجاه المجتمع الحديث نحو الاعتماد المتزايد على المأسسة البيروقراطية** لمختلف مجالات وجوانب الحياة الاجتماعية، توقع حدوث الكثير من التأثيرات السلبية على الحرية الفردية والديموقراطية وتكافؤ الفرص.

06 * **علاقة حجم الجماعات والمؤسسات الاجتماعية بمشكلات تحرر الفرد**: حسب رؤية زيمل **تزداد فردية الفرد في أفعاله وشخصيته كلما اتسعت دائرة الجماعات التي تشمله**، حيث يؤدي تزايد الحجم والتباين الاجتماعي ضمن المؤسسات إلى **تفكيك العلاقات والمسافات** بين الافراد، فتصبح اكثر **بُعدا وموضوعية**، ويصبح الفرد **أكثر تحررا ضمن هذه المؤسسات والجماعات الكبيرة على عكس الجماعات والمؤسسات الصغيرة** التي لا تفرض سيطرتها عليه، لكن زيمل يرى من جانب آخر أن وجود الفرد **ضمن المؤسسات الكبيرة يجعله يواجه مجموعة من المشكلات التي تهدد حريته**؛ حيث توجد في تلك المؤسسات جماعات كثيرة ينتمي لها الفرد بما يجعله عرضة **للتشتت والاغتراب؛ وسيطرة الأهواء وسهولة الانقياد للأفكار البسيطة والافعال الطائشة والعاطفية** نتيجة للتأثر بالجمهور الكبير، ونتيجة كبر حجم الجماعات وبعد المسافة عن التواصل المادي، مما يؤدي أيضا إلى جعل الفرد **أكثر عزلة ووحدة وتمزقا**، ويظهر ذلك بشكل خاص في المدينة الحديثة الكبيرة حيث تسود الثقافة الموضوعية والاقتصاد النقدي الذي **يتأسس على الاهتمام بالحساب والعقلانية وإضعاف العلاقات الإنسانية**، ولذلك رأى زيمل أن الفرد كي يواجه ذلك عليه أن ينغمس أكثر في جماعات ومؤسسات صغيرة كالأسرة[1].

07 * **الأشكال الاجتماعية والمؤسسات عند زيمل**: يطلق زيمل لفظ الأشكال الإجتماعية على نتائج الأفعال المتبادلة (التفاعل الاجتماعي)، في مقابل مضمون تلك الأفعال الذي يسميه (الدوافع الموجّهة للفعل "الصراع- التنافس- التعاون ...")، والأشكال الاجتماعية التي يتصورها زيمل هي[2]:

أ * **الأشكال التي تتصف بالديمومة**، وهي المؤسسات الاجتماعية (العائلة – الدولة- الكنيسة- المنشآت والأحزاب السياسية...)

ب * **التصميمات المبنية مسبقا**، ووفقا لها تتكون المنظمات، وتعتبر لذلك أشكال مُشَكِّلة(التراتبية – التنافس- الصراع- المغامرة- الاقصاء- الميراث- التقليد..).

ج * **الأشكال التي تُكَوّن الإطار العام الذي تحدث ضمنه التنشئة الاجتماعية**، وهي التشكيلات (السياسة- الاقتصاد- القانون- التعليم- الدين..)

د * **الأشكال العابرة**: التي تؤسس للطقوس اليومية (العادات- الطعام المشترك- النزهات المشتركة- التهذيب- الكَيَاسَة..)

---

1 - أنظر: ريتزر، مرجع سابق

2 كابان ودورتيه، مرجع سابق، ص-ص.72-73.